الجملة الإسمية المثبتة المؤكدة في خطاب ردّ الكفار والمعاندين على الأنبياء والرسل في القرآن الكريم

الباحث
عبد الأمير جبر سهيل آل بصري

الأستاذ المساعد الدكتور
تراث حاكم الزيادي

المقدمة:

لقد حفل القرآن الكريم بأنواع مختلفة من الخطاب، ومن تلك الأنواع خطاب رد الكفار والمعاندين على الأنبياء والرسل في القرآن الكريم الذي شغل حيزاً كبيراً في النصوص القرآنية، ولم ينل هذا الخطاب حظّه من الدراسة، غير أني وجدت دراسة أُجريت في الجامعة المستنصرية بعنوان (خطاب الكافرين في القرآن الكريم دراسة في الدلالة المعجمية للصيغ الصرفية)، فاقتصرت دراستي على الجانب النحوي وكانت دراستي للجملة الاسمية المثبتة المؤكدة في خطاب رد الكفار و المعاندين على الأنبياء والرسل في القرآن الكريم، وقد قسمت الجملة الأسمية المثبتة المؤكدة على قسمين:

الأول: الجملة الأسمية المثبتة المؤكدة بمؤكد واحد.

والآخر: الجملة الأسمية المثبتة المؤكدة بأكثر من توكيد.

ثم ذكرت طرقاً اخرى للتوكيد كالتوكيد بالقصر بالنفي والاستثناء، والتوكيد بالقصر بـ(إنما)، وقد تناولت الدراسة المحاورات والمجادلات والمحاججات التي جرت بين الكفار والمعاندين وبين أنبيائهم، فكانت الدراسة مقتصرة على الجملة الاسمية المثبتة المؤكدة فقط لما لها من أهمية في تأكيد الحجة على الخصم ولبيان الحجاج والعناد الذي إنماز به خطاب الكفار والمعاندين في ردهم على الأنبياء والرسل، وأرجو الله أن يوفقني لما يحبه ويرضاه وأن يجعلني ممن يحفظون القرآن بقلوبهم ويهتدون بهديه ويتبصرون كنهه وإعجازه والله ولي التوفيق.

١ـ الجملة الاسمية المثبتة المؤكدة بمؤكد واحد:

وتنقسم إلى جملة مؤكدة بالأداة وجملة مؤكدة بغير أداة التوكيد.

أ. الجملة الاسمية المثبتة المؤكدة بالأداة:

لقد جاءت أغلب الجمل الاسمية المؤكدة بالحرف (أنّ، وإنَ) بفتح الهمزة وكسرها وهي من الاحرف المشبه بالفعل الناسخة للمبتدأ وهي تفيد التوكيد، بل إن الأصل فيها التوكيد والدليل على انها للتوكيد أنها يجاب بها القسم قال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[١] فأجيب القسم بها كما هو واضح[٢].

قال ابن يعيش (ت٦٤٣هـ): (فأما فائدتهما فالتأكيد لمضمون الجملة فإن قول القائل: إن زيداً قائمٌ، ناب مناب تكرير الجملة مرتين إلا أن قولك: (إن زيداً قائمٌ) أوجز من قولك: (زيدٌ قائم زيدٌ قائم) مع حصول الغرض من التأكيد)[٣]. وقد وافق هذا الرأي بعض المحدثين ومنهم عباس حسن[٤] وخالفه البعض الاخر ومنهم الدكتور فاضل السامرائي[٥].

والذي يراه الباحث أن ابن يعيش كان صائباً في ما رآه إذ أنّ المتكلم لجأ الى (إنّ) ولم يلجأ الى التكرير طلباً للإيجاز والعرب توجز في كلامها فقد تغني (إنّ) في بعض السياقات عن التكرير.

وقد وردت الجملة الإسمية المؤكدة بـ(إنّ) على صور متعددة منها:

الصورة الأولى: إنّ + اسمها (ضمير متصل) + خبرها (مفرد)

كقوله تعالى على لسان قوم لوط عليه السلام: ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾[٦] فإن الجملة هي علة للأمر بالإخراج، وذلك شأن (إنّ) إذا جاءت في مقام لاشك فيه و لا إنكار، بل كان لمجرد الاهتمام فإنها تفيد مفاد فاء التفريع وتدل على الربط والتعليل[٧]، على ما فيه من دلالة توكيدية متحصلة من استعمال (إنّ). وقد قصدوا بهذه الجملة ذمهم وهم قد علموا هذا التطّهر من خُلق لوط عليه السلام وأهله لأنهم عاشروهم ورأوا سيرتهم، والدليل المستفاد من الكلام في ذلك كما يرى ابن عاشور يتمثل في مجيء الجملة الفعلية المضارعية (يتطهرون) لدلالتها على أن التطهر متكرر منهم ومتجدد، وذلك ادعى لمنافرتهم طباعهم والغضب عليهم وتجهم إنكار لوط عليه السلام عليهم[٨].

الصورة الثانية: إنّ +اسمها (ضمير متصل) + متعلقات + الخبر (مفرد)

وذلك في قوله تعالى على لسان قوم هود وصالح: ﴿فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾[٩]، فقد

جاءت هذه الآية حكاية جواب عاد وثمود لرسوليهم فقد كان جواباً متماثلاً لأنه ناشئ عن تفكير متماثل وهو أن تفكير الاذهان القاصرة من شأنه أن يبْنى على تصورات وهمية وأقيسة تخييليه وسفسطائية، فإنهم يتصورون صفات الله تعالى وافعاله على غير كنهها ويقيسونها على أحوال المخلوقات ولذلك يتماثل في هذا حال أهل الجهالة كما قال تعالى ﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾[١٠]، أي هم متماثلون في الطغيان، أي الكفر الشديد فتملي عليهم أوهامهم ولكون جوابهم حرى في سياق المحاورة فإن قول الرسل لهم: لا تعبدوا إلا الله، قد حكي بفعل فيه دلاله على القول[١١].

وإن قولهم: ﴿فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾ أي بالذي أُرسلتم به على زعمكم وفيه ضرب تهكم بهم، وقوله: (كافرون) لما أنكم بشرٌ مثلنا لا فضل لكم علينا، والفاء فاء النتيجة السببية فيكون في الكلام إيماء إلى قياس استثنائي، أي انه لم ينزل [١٢].

الصورة الثالثة: إنّ +اسمها (ضمير المخاطبين)+ الخبر (مفرد)

وذلك في قوله تعالى على لسان المشركين في ردهم على النبي ﷺ: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾[١٣] فإن قوله تعالى (أيعدكم) استئناف مسوق لتقرير مقابله من زجرهم عن إتباعه ﷺ بإنكار وقوع ما يدعوهم للإيمان به واستبعاده، وقوله تعالى: (أنكم) على تقدير حرف الجر أي (بأنكم)، ويجوز ان لا يقدر نحو (وعدتك الخير). وقوله تعالى: (أنكم) تأكيد لأنكم الأول لطول الفصل بينه وبين خبره وهو قوله تعالى: (مخرجون)، و(إذا) ظرف متعلق به أي يعدكم أنكم مخرجون من قبوركم أحياء كما كنتم أولاً إذا متم وكنتم ترتباً. واختار هذا الاعراب الفراء، والجرمي، والمبّرد ويلزم ذلك كون الاخراج وقت الموت[١٤].

وذكر السيوطي في الاشباه عن سيبويه أن (أنكم) بدل من (انكم) الأول وفيه معنى التأكيد، وخبر (أنّ) الأولى محذوف لدلالة خبر الثاني عليه، أي يعدكم أنكم تبعثون إذا متم، وهذا الخبر المحذوف هو العامل في (إذا)، ولا يجوز أن يكون هو الخبر لان ظرف الزمان لا يخبر به عن الجثة[١٥].

وإذ أوّل بحذف المضاف أي إن اخراجكم إذا متم جازم، وكان المبّرد يأبى لبدل لكونه من غير مستقل إذ لم يذكر خبر (إنّ) الأولى. وذهب الاخفش إلى أنّ (أنكم مخرجون) مقدّر بمصدر مرفوع بفعل محذوف تقديره يحدث إخراجكم، فعلى هذا التقدير يجوز أن تكون الجملة الشرطية خبر (أنكم) الأول ويكون جواب (إذا) ذلك الفعل المحذوف، ويجوز أن يكون ذلك الفعل هو خبر (أنّ) ويكون عاملاً في (إذا).

وحكي عن الاخفش أنه يجعل (أنكم مخرجون) فاعلاً بـ(إذا)، كما يجعل الخروج في قولك: يوم الجمعة الخروج، فاعلاً بـ (يوم) على معنى يستقر الخروج يوم الجمعة[١٦].

وجّوز بعضهم أن يكون (أنكم مخرجون) مبتدأ و(إذا متم) خبراً على معنى اخراجكم إذا متم، وتجعل الجملة خبر (إنّ) الأولى، قال في البحر المحيط: هذا تخريج سهل لا تكلف فيه. واختلف المعربون في تخريج (أنكم) الثانية، والمنقول عن سيبويه أنّ (أنكم) الثانية بدل من الأولى وفيها معنى التوكيد[١٧].

وذهب الفراء والجرمي والمبّرد إلى أنّ (انكم) الثانية كررت للتأكيد، وعلى هذا يكون (مخرجون) خبر (أنكم) الأولى. وذكر الزمخشري في الكشاف أنه ثنى (أنكم) للتوكيد، وحسُن ذلك لفصل مابين الأول والثاني بالظرف، و(مخرجون) خبر عن الأول[١٨].

الصورة الرابعة: إنّ +اسمها (ضمير متصل)+ الخبر (جملة فعلية)

و قد وردت هذا الصورة في خطاب رد المشركين على النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾[١٩].

الأمة: الطريقة التي تؤم وتقصد، والمراد بها الّدين، والمعنى لا دليل لهم على حقيقة عبادتهم بل قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾، أي متشبثون بتقليد الآباء فحسب[٢٠].

وقُرئ (على إمةٍ) بالكسر وكلتاهما من الأم والقصد فالإمة: الطريقة التي تؤم، كالرّحلة للمرحولة اليه والأمَّ: الحالة التي يكون عليها الآم وهو القاصد وقيل: على نعمة وحالة حسنة، وقوله تعالى ﴿عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾.

خبر إنّ[٢١] فيكون المعنى وإنهم مهتدون على آثارهم، وكذلك يكون المعنى مقتدون على آثارهم ويصلح أن يكون خبراً بعد خبر فيكون (وإنا على آثارهم) الخبر، ويكون (مهتدون) خبراً ثانياً[٢٢].

قال الجوهري: والأمة الطريقة والدين، يقال: فلان لا أُمة له، أي لادين له لا نحلة، وقال مجاهد وقطرب: على دين أي على ملة، وهذه الاقوال متقاربة، وحُكي عن الفراء إنّ (على ملة) يعني على قبلة. وقوله تعالى:(وإنا على آثارهم مهتدون) أي نهتدي بهم، وفي الآية الاخرى (مقتدون) أي نقتدي بهم والمعنى واحد[٢٣].وهناك أدوات أخرى للتوكيد وهي: (لكنّ)، ولعلّ، ولم يرد في خطاب رد الكفار والمعاندين على الانبياء والرسل جملة اسمية مؤكدة بهذه الادوات لذا اكتفى الباحث بالكلام على الجملة الاسمية المثبتة المؤكدة بالأداة (إنّ) بصورها المختلفة.

٢ـ الجملة الاسمية المثبتة المؤكدة بأكثر من توكيد:

وهي الجملة الاسمية التي يلتقي فيها مؤكدان أو ثلاثة أو أربعة مؤكدات، وقد وردت أغلب الجمل الاسمية المثبتة في خطاب رد الكفار و المعاندين على الانبياء والرسل مؤكدة بـ (إنّ) و (اللام) ومؤكدات اخرى، وجاءت هذه الجمل على صور متعددة:

الصورة الأولى: اداة التوكيد (إنّ) + اسمها(ضمير متصل) + خبرها (شبه جملة مؤكدة باللام).

وقد وردت هذه الصورة على لسان قوم صالح عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾[٢٤]، وقد وردت هذا الجملة مؤكدة بمؤكدين و هما الاداة (إنّ)، و(لام التوكيد) الداخلة على خبرها، وكان هذا جواب القوم على دعوة نبي الله صالح عليه السلام البليغة الملآى ارشاداً وهدياً، وهذا جواب ملئ بالضلال والمكابرة وضعف الحجة، فإن صالحاً عليه السلام عرض دعوته على قومه وآمرهم بعبادة الله وحده وإخلاص العبادة له، وتذكيرهم بفضل الله عليهم وهو الايجاد والاستعمار في قوله تعالى على لسان صالح عليه السلام: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾[٢٥]، فإن طلب صالح عليه السلام من قومه الاستغفار من الله من ذنوبهم جحدوا

هذه الدعوة ورفضوها من اساسها، ووصفوا أنفسهم بالشك في صدق نبوة صالح عليه السلام بقولهم: ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾، وأكدوا شكهم بـ (إنّ)، و(اللام)، وظرفية (في) الدالة على أن هذا الشك مسيطر عليهم ومتمكن منهم ومحيط بهم من كل جانب جحوداً لدعوته عليه السلام واظهار نون الجمع مع نون (إن)المؤكدة في قوله: (إننا) زيادة في إظهار التوكيد والاظهار نوع من التحقيق[٢٦]. وقد ذكر الآلوسي قول الفداء من قال "إننا" أخرج الحرف عن أصله لأنه كناية عن المتكلم - نا- فاجتمعت ثلاث نونات، ومن قال "إنا" استثقل اجتماعهما فأسقط الثالثة وابقى الأوليين[٢٧]. وقد اعترض ابو حيان التوحيدي على اسقاط النون الثالثة عند اجتماع ثلاث نونات ويرى أن حذف النون الثانية أولى إذ قال: (والذي أختاره أن نون ضمير المتكلمين لا تكون المحذوفة؛ لأن في حذفها حذف بعض الاسم وبقي منه حرف ساكن، وإنما المحذوفة النون الثانية من (إنّ) فحذفت لاجتماع الامثال وبقي من الحرف الهمزة والنون الساكنة وهذا اولى من حذف ما بقي منه حرف)[٢٨].

وجملة (واننا لفي شك) معطوفة على جملة (يا صالح قد كنت فينا مرجوما)، فبعد أن ذكروا يأسهم من صلاح حاله ذكروا أنهم يشّكون في صدق أنه مرسلٌ اليهم وزادوا ذلك تأكيداً بحرف التأكيد. ومن محاسن النكت هنا اثبات نون (إنّ) مع نون ضمير الجمع لان ذلك زيادة اظهار لحرف التوكيد والاظهار ضرب من التحقيق بخلاف ما في سورة ابراهيم من قول الامم لرسلهم: (وإنا لفي شكٍ مما تدعوننا) لان الحكاية فيها عن امم مختلفة في درجات التكذيب، ولأن ما في هذه الآية خطاب واحد فكان (تدعونا) بنون واحدة وهي نون المتكلم ومعه غيره فلم يقع في الجملة أكثر من ثلاث نونات بخلاف ما في سورة ابراهيم لان الحكاية حكاية هنالك عن جمعٍ من الرسل في (تدعوننا)، فلو جاء (اننا) لاجتمعت أربع نونات[٢٩].

الصورة الثانية: إنّ +أسمها (ضمير متصل) +خبرها (جملة فعلية مؤكدة باللام)

وقد ورد كثير من خطاب رد الكفار والمعاندين على الانبياء والرسل مؤكداً بالأداة واللام الواقعة في خبرها (الجملة الفعلية) ومن هذه الجمل:

ما ذكره القرآن على لسان قوم نوح عليه السلام ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٣٠] وما ذكره القرآن على

لسان قوم هود عليه السلام قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾[٣١] وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[٣٢] وقوله تعالى على لسان قوم شعيب عليه السلام: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾[٣٣]، إذا لاحظنا الجمل الواردة في الآيات الكريمات على لسان الكفار والمعاندين في ردهم على الانبياء والرسل نجدها مؤكدة بالأداة (إنّ) و(اللام)، و(في) الدالة على الظرفية، والتي تدل على تمكن صفة الضلال من نوح عليه السلام فكأنّ الضلال جاء ظرفاً له وهو فيه[٣٤]، وهو تعبير مجازي على انغماس نوح عليه السلام في الضلال كأنه محيط به من كل الجوانب احاطة الظرف بالمظروف[٣٥]. والرؤية قلبية بمعنى العلم، أي اننا لنوقن انك في ضلال مبين، وظرفية (في ضلال) مجازية تعبيراً عن تمكن وصف الضلال منه، و(الضلال) اسم مصدر (ضلَّ) إذا أخطأ الطريق الموصِل و (المبين) اسم فاعل من (أبانَ) المرادف لـ(بان) وذلك هو الضلال البالغ الغاية في البعد عن طريق الحق[٣٦]. كذلك صفة السفاهة التي وصف بها هود عليه السلام من قبل قومه فهي متمكنة فيه ومحيطة به من كل جانب إحاطة الظرف بالمظروف، والرؤيا قلبية أي اننا لنعلم أنك في سفاهة والسفاهة هي سخافة العقل[٣٧]. وأما قولهم ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ فقد اطلقوا الظنّ على اليقين وهو استعمال كثير في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ﴾[٣٨] وارادوا تكذيبه في قوله ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[٣٩]، وفي ما يتضمنه قوله من كونه رسولاً اليه من الله. وقد تشابهت اقوال قوم هود واقوال قوم نوح في تكذيب الرسول لأن ضلالة المكذبين متحدة، وشبهاتهم متحدة، كما قال تعالى: ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[٤٠] فكأنهم لقّن بعضهم بعضاً كما في قوله تعالى: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾[٤١].

فقد رد المعاندون على أنبياءهم ووصفوهم بأبشع الصور وأقبحها حتى تؤثر هذه الأوصاف في قلوب الناس وعقول العامة من القوم فلا يستجيبون لدعوات هؤلاء الانبياء ويلقوا في نفوس الانبياء الخوف والرعب والضعف لكل يترددوا عن اداء مهماتهم في تبليغ الدعوة الى الله تعالى ويكفوا عن ترديدها على اقوامهم، وقد وصف قوم شعيب شعيباً بالضعف أي انه غير ذي قوة ولا منعة فالمراد بالضعف عن المدافعة إذا راموا اذاه، وقد ذكر الآلوسي ان معنى قولهم (ضعيفاً) أي لا قوة لك ولا قدرة على شيء من الضر والنفع والايقاع والدفع[٤٢] وقد فسّر العلماء الرؤية المؤكدة باللام في الآيات الثلاث بالرؤيا القلبية

بمعنى العلم والاعتقاد واليقين أي: اننا لنوقن انك في ضلال مبين، واننا لنعلم انك في سفاهة، واننا لنعلم انك فينا ضعيفاً[٤٣].

الصورة الثالثة: اداة التوكيد(إنّ) +اسمها(ضمير المخاطبة)+اللام +خبرها (ضمير منفصل)

وقد وردت هذه الصورة من الجملة الاسمية المؤكدة بأكثر من مؤكد في خطاب رد الكفار والمعاندين من أهل مَدين على شعيب عليه السلام بقولهم: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾[٤٤]، وهي جملة استئناف وتهكم آخر بعد ان قالوا: ﴿أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾[٤٥].

وقد جاءت الجملة مؤكدة بالأداة (إنّ) و(لام القسم)، وبصيغة القصر في جملة (لأنت الحليم الرشيد) فاشتملت الجملة على اربعة مؤكدات، وتدل الآية على تهكم اهل مدين من شعيب عليه السلام، ووصفه بصفتي الحلم والرشد بصيغة المبالغة (فعيل) لا يدل على اعجابهم به حقاً، بل أنهم ارادوا عكس ذلك أي انهم نسبوه الى غاية السفه والغي فعكسوا ليتهكموا به كما يتهكم بالشحيح فيقال: لو ابصرك حاتم لسجد اليك[٤٦].

وخالف السيد العلامة الطبطبائي هذا الرأي إذ قال: (إن قولهم "أصلاتك تأمرك... إنك لانت لحليم الرشيد" مبني على التهكم، إلا انّ التهكم في تعليقهم امر الصلاة شعيباً على تركهم ما يعبد آباؤهم، وكذا في نسبة الامر إلى الصلاة لا غير، أما نسبة الحلم والرشد اليه فليس فيها تهكم واستهزاء ولذلك أكدوا قولهم: "إنك لانت لحليم الرشيد" بـ(إنّ واللام وإتيان الخبر جملة اسمية) ليكون أقوى في اثبات الحلم والرشد له فيصير أبلغ في ملامته والانكار عليه، وان الذي لاشك في حلمه ورشده قبيح عليه أن يقدم على مثل هذا الامر السفهي.)[٤٧] وظهر بذلك انّ ما ذكره كثير منهم أنهم وصفوه بالحلم والرشد على سبيل الاستهزاء يعنون به أنه موصوف بضدهما وهو الجهالة والغي ليس بصواب.

ب - الجملة الإسمية المؤكدة بغير الأداة (التوكيد بالقصر)

القصر لغةً: هو الحبس[٤٨]، قال تعالى: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾[٤٩]، أي محبوسات فيه.

وأما في الاصطلاح: فهو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص، ويقال أيضاً: إثبات

الحكم المذكور ونفيه عما عداه[٥٠]. وليس هناك فرق بين مصطلح (القصر) و(الحصر)، السبكي (ت٧٧٣هـ):

(القصرُ: هو الحصر، وهو تخصيص امر بآخر...)[٥١] وبتعريفه هذا فهو يرادف بين المصطلحين على حين قال بعضهم ان مصطلح (القصر) مصطلح بلاغي، ومصطلح (الحصر) مصطلح نحوي[٥٢]. والقصر يؤتى به لغرض التوكيد، والقصر ما هو إلّا تأكيدٌ على تأكيد[٥٣]. أو هو (طريقة من طرائق التوكيد يهدف به المتكلم الى تثبيت غرضه في ذهن السامع وازالة ما في نفسه من شك فيه، والتوكيد بالقصر أقوى طرائق التوكيد وادلها على تثبيت ما يراد تثبيته أو تقريره)[٥٤].

وللقصر طرفان:

المقصور: وهو الشيء المخصص

والمقصور عليه: وهو الشيء المخصص به[٥٥].

وللقصر طرائق متعددة ومتنوعة ذكر السيوطي منها اربع عشرة طريقة[٥٦].

والقصر يحصل في اجزاء الجملة الاسمية جميعها، وفي الجملة الفعلية[٥٧].

وتعد الجملة الاسمية المؤكدة بالقصر (النفي والاستثناء، وإنما) من التراكيب النحوية المميزة في القرآن الكريم بصفة عامة، وسبب توظيف القرآن الكريم لهذا النوع من التركيب لكونه الوسيلة البيانية الاقوى لمواجهة التحدي، أو ما يسمى النفي العنادي، التي جابه بها الكفار والجاحدون للرسالة النبوية[٥٨]، وهي وسيلة الاقوام في الصاق التهم للأنبياء والرسل. وبعد احصائي للجمل المؤكدة المفيدة للقصر (بالنفي والاستثناء، وانما) في خطاب رد الكفار والمعاندين على الانبياء والرسل تحصلت على (٢٤) أربع وعشرين جملة منها (٢٠) عشرين جملة اسمية واربع جمل فعلية، وسبب افرادي لهذا النوع من الجمل الاسمية دون تصنيفه ضمن التصنيف العادي للجملة والمتمثل في الجملة الاسمية المثبتة والجملة الاسمية المنفية؛ لان هذا النوع من الجمل يجمع بين النفي والاثبات، ويمكن تقسيم هذا النمط من الجمل على الاشكال التالية:

١ـ القصر بالنفي والاستثناء بـ(إن و إلا):

أما (إن) فأنكر اعمالها جمهور البصريين واجازه جماعة مستندين الى طائفة من النصوص وقيل هي لفة اهل العالية، ومن ذلك قولهم: (إن احدٌ خيراً من أحد إلا بالعافية)، ولم ترد مُستعْمَلةً في القرآن الكريم في القراءة المشهورة. ويذكر النحاة انها بمنزلة (ما) في نفي الحال [٥٩] والصحيح انها تأتي لغيره، قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾[٦٠]، والذ يبدو أنها آكد من (ما) في النفي كما تستعمل كثيراً في الانكار، قال الراغب: (واكثر ما يجيء بتعقبه ""إلا"" نحو: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ [٦١]...)[٦٢] وقد جاءت الجملة الاسمية المؤكدة بالنفي والاستثناء بـ(إن) و(الا) في خطاب رد الكفار والمعاندين في عشر جمل فقد قال الله تعالى على لسان قوم نوح عليه السلام: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ﴾[٦٣] وقوله تعالى على لسان قوم هود عليه السلام: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾[٦٤] وقوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾[٦٥] وقوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾[٦٦] وقوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾[٦٧].

وقوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾[٦٨] وقوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[٦٩].

وقوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[٧٠] وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾[٧١].

وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾[٧٢].

إذا تأملنا هذا الآيات الشريفة نجد ان اداة النفي (إن) في صدر هذه الجمل، والاداة (إلا) واقعة بين المبتدأ والخبر، والمبتدأ موصوف والخبر صفته، فهو من باب قصر الموصوف على الصفة وقد جاء المبتدأ ضميراً منفصلاً للغائب المفرد المذكر (هو) في جملتين وللغائبة المؤنثة (هي) في جملتين ايضاً، وجاء اسم اشارة (هذا) في اربع جمل، وجاء ضميراً منفصلاً لجماعة المخاطبين (انتم) في جملتين، أما الخبر فقد جاء اسماً مفرداً (رجل، حياتنا، خلق، اساطير، اختلاق، سحر)، إلا في جملة واحدة فقد جاء الخبر جملة فعلية (تكذبون)، ويمكن تقسيم هذا النمط من الجمل وفق الصور التالية:

الصورة الأولى: إن +المبتدأ (ضمير منفصل للغائب المذكر) + إلا+ الخبر(اسم مفرد)

وقد جاءت هذه الصورة في خطاب رد الكفار والمعاندين على الانبياء والرسل في موردين على لسان قوم نوح عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ﴾ وقوله تعالى على لسان قوم هود عليه السلام ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾. لما كان الاستدلال والامتنان موجّهين الى المشركين الذين كفروا بالنبي صلى الله عليه وآله واعتلوا لذلك بأنهم لا يؤمنون برسالة بشر مثلهم وسألوا بإنزال ملائكة ووسموا الرسول صلى الله عليه وآله بالجنون، فلما شابهوا قوم نوح ومن جاء بعدهم ناسب أن يضرب لهم بقوم نوح مثلاً تحذيراً مما اصاب قوم نوح من العذاب، وإن جملة (**إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ**) استئناف بياني لان جميع ما قالوه يثير في نفوس السامعين ان يتساءلوا إذا كان هذا حال دعوته في البطلان والزيف فماذا دعاه الى القول بها؟ فيجاب بأنه أصابه خلل في عقله فطلب ما لم يكن ليناله مثله من التفضل على الناس كلهم بنسبتهم الى الضلال، فقد طمع فيما لا يطمع عاقل في مثله فدلّ طمعه في ذلك على أنه مجنون[٧٣]. والقصر هنا قصر قلب، أي انه قلبوا صفة النبوة وجعلوها جنوناً لكي ينفوا عنه انه رسول من الله وليبرروا تكذيبهم له، وليحملوا القوم على تكذيبه.

وكذلك في رد المعاندين على هود عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾.

فإنهم قصروا الكذب عليه وهذا ايضا قصر قلب، أي ان هوداً عليه السلام حاله مقصورة على الكذب والادعاء، وجملة (افترى على الله كذبا) صفة لـ(رجل) وهي منصبّ الحصر فهو قصر الموصوف على الصفة، وهو قصر قلب، أي لا كما يزعم انه رسول من الله[٧٤].

الصورة الثانية: إنْ +المبتدأ (ضمير منفصل للغائبة المؤنثة) + إلا+ الخبر(اسم مفرد مضاف)

وقد وردت هذه الصورة في خطاب رد الكفار والمعاندين على الانبياء و الرسل في جملتين على لسان المنكرين للمعاد ونفيه باستعمالها اسلوب القصر وقصر الحياة بالحياة الدنيا فقط. قال تعالى على لسان عاد: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾[٧٥]، واستعمال الضمير (هي) وهو ضمير لا يعود على ما قبله بل يمهد لما سيجيئ، واصله ان الحياة الا حياتنا الدنيا، ثم وضع (هي) موضع الحياة لان الخبر يدل عليها ويبينها، والمعنى: لا حياة الا هذه الحياة لان

(إنْ) نافية ودخلت على الضمير (هي) التي بمعنى (الحياة) فنفتها، أي ان عاداً نفت نفياً قطعياً ومؤكداً ان تكون هناك حياة اخرى خلاف حياتهم التي يعيشونها، وقصروا الحياة الدالة على الجنس بالحياة التي هم فيها، فلا وجود في نظرهم لحياة اخرى تقوم بعد تلك الحياة [٧٦].وذكر الآلوسي ان قولهم ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ اصله إن الحياة الا الحياة الدنيا فقد وافق الزمخشري في أن اصل الجملة (إن الحياة الا الحياة الدنيا) ثم وضع الضمير موضع الحياة فالضمير عائد على متأخر وعوده كذلك جائز في صور منها: إذا فسّر بالخبر كما هنا كذا قالوا. واعْتُرضَ بأن الخبر موصوف فتلاحظ الصفة في ضميره كما هو المشهور في الضمير الراجع الى موصوف وحينئذ يصير التقدير(ان حياتنا إلا حياتنا الدنيا). واجيب بأن الضمير قد يعود الى الموصوف بدون صفته وهذا في الاخر يعود الى القول بأن الضمير عائد على ما يفهم من جنس الحياة ليفيد الحمل على ما قصدوه من نفي البعث فكأنهم قالوا: لا حياة الا حياتنا الدنيا[٧٧]. وذكر الطاهر ابن عاشور أنهم نصوا على صحة عَود الضمير على متأخر لفظاً ورتبةً في مواضع منها إذا كان خبر الضمير مفسراً له كما هنا، وجعله بعضهم ضمير الشأن. و يتأتى على مذهب الجمهور لانهم اشترطوا في خبره ان يكون جملة، وخالفهم في ذلك الكوفيون، فقد حكي عنه جواز كون خبره مفرداً اما مطلقاً أو بشرط كون المفرد عامل عمل الفعل كاسم الفاعل نحو (انه قائمٌ زيدٌ) بناءً على انه حينئذ سد مسد الجملة، وقيل: يحتمل ان يكون الضمير المذكور عبارة عن ما في الذهن وهو الحياة والمعنى (ان الحياة الا حياتنا التي نحن فيها) وهو المراد [٧٨].

الصورة الثالثة: ان +المبتدأ(اسم اشارة)+الا +الخبر(مفرد)

وقد وردت الجملة الاسمية المؤكدة في النفي والاستثناء على هذه الصورة في خطاب رد الكفار والمعاندين في أربع جمل: في قوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾[٧٩] وقوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾[٨٠].

وقوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[٨١] وقوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[٨٢].

وقوله تعليل لما ادّعوه من المساواة أي ما هذا الذي جئتنا به الا عادة الاولين يلّفقون مثله ويدعون اليه، وما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت الا عادة قديمة لم يزل الناس

عليها، و ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا عادة الاولين الذين تقدمونا من الاباء والاجداد[٨٣]. وقيل ان معنى كلام المعاندين في ردهم على الانبياء والرسل ان ما جئتم به اختلاق الاولين وتخرصهم، كما قالوا أساطير الاولين، أو ما خلقنا هذا الا خلق القرون الخالية، نحيا كما حيوا ونموت كما ماتوا، ولا بعث ولا حساب[٨٤]، في الجمل الاسمية المؤكدة بالقصر بالنفي والاستثناء على لسان المعاندين ورفضهم دعوة انبيائهم فقد قصروا هذه الدعوات من الانبياء على خلق الاولين وعلى الاساطير، وعلى السحر وهو من باب قصر الصفة على الموصوف.

الصورة الرابعة: ان + مبتدأ(ضمير منفصل) +إلا+ خبر(مفرد)

وقد وردت هذه الصورة من الجملة الاسمية المؤكدة في خطاب رد الكفار والمعاندين على الانبياء والرسل في قولهم: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾[٨٥] فهم ارادوا افهام الرسل بقطع المجادلة النظرية فنفوا اختصاص الرسل بشيء زائد في صورتهم البشرية يعلم به ان الله اصطفاهم دون غيرهم بأن جعلهم رسلاً عنه، وهؤلاء الاقوام يحسبون ان هذا اقطع لحجة الرسل لان المماثلة بينهم وبين قومهم محسوسة لا تحتاج الى تطويل في الاحتجاج فلذلك طالبوا رسلهم ان يأتوا بحجة تثبت ان الله اختارهم للرسالة عنه، وحسابهم بذلك التعجيز، فقولهم: ﴿تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾[٨٦] في موضع الحال، وهي قيد لما دل عليه الحصر في جملة (ان انتم الا بشر مثلنا) من جحد كونهم رسلاً من الله[٨٧].

الصورة الخامسة: انْ +مبتدأ (ضمير منفصل)+ الا+ الخبر(جملة فعلية)

كما في قوله تعالى على لسان المعاندين للأنبياء والرسل: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾[٨٨] فالاستثناء في هذه الجملة استثناء مفرغ من اخبار محذوفة، فجملة (تكذبون) في موضع الخبر عن الضمير (انتم)، وحكيت هذه المحاورة على سنن حكاية المحاورات بقولهم ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ أي فيما تدّعون وهذا تصريح بما قدموه من الجملتين السابقتين في قوله تعالى ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾[٨٩]، واختيار تكذبون على (كاذبون) للدلالة على التجدد[٩٠].

وقولهم هذا بمنزلة النتيجة لصدر الآية ومحصل قولهم: انكم بشر مثلنا و لا نجد نحن على بشريتنا في نفوسنا شيئاً من الوحي النازل الذي تدّعونه وانتم مثلنا فما انزل الرحمن شيئاً من الوحي فدعواكم كاذبة واذ ليس لكم الا هذه الدعوى فإن انتم الا تكذبون. ويظهر بما تقدم نكتة الحصر في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾[٩١].

٢ـ القصر بالنفي والاستثناء بـ(ما) و(الا):

ان القصر بهذا النوع من الاستثناء اقل من القصر بالاستثناء بـ (ان) و (الا)، والقصر بالنفي والاستثناء المفرغ سواء كان بقصر الخبر على المبتدأ أو بطريق اخرى انما يكون للشيء الذي ينكره المخاطب ويدفعه[٩٢]. وقد وردت الجملة الاسمية المؤكدة بالقصر بـ(ما) و(الا) في خطاب رد الكفار والمعاندين على الانبياء

والرسل في احدى عشرة جملة، منها تسع جمل اسمية وجملتان فعليتان،

فقد وردت هذه الجمل في قوله تعالى: ﴿مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى﴾[٩٣].

وفي قوله تعالى: ﴿مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ﴾[٩٤].

وفي قوله تعالى: ﴿مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى﴾[٩٥].

وفي قوله تعالى: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾[٩٦].

وفي قوله تعالى: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾[٩٧].

وفي قوله تعالى: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾[٩٨].

وفي قوله تعالى: ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾[٩٩].

يلحظ على هذه المواضع مجيء القصر عن طريق الاستثناء المفرغ وهو نوع من انواع التوكيد[١٠٠]، وقد كان سبب مجيء القصر في هذه الجمل هو ان الحكم فيها جاء مقصوراً على الذي بعد (إلّا)، وسبب مجيء القصر بهذا النوع اقل من القصر بـ(انْ) و(الّا) لان الكفار والمعاندين قد وظفوه في جحودهم وانكارهم لدعوات الانبياء عليهم السلام والحط من

قيمتهم. واذا تأملنا هذه الجمل نجدها تبتدئ بأداة النفي (ما) وتتوسط (الّا) بين المبتدأ والخبر وإن المبتدأ مقصور والخبر مقصور عليه. وقد جاء المبتدأ اسم اشارة (هذا) وضمير منفصل (انت، انتم) وضمير الغائبة المؤنثة (هي)، اما الخبر قد جاء اسماً مفرداً (سحر، رجل، افك، بشر، حياتنا) ويمكن صياغة هذا النوع من القصر وفق الصور التالية:

الصورة الاولى: ما (النافية) +المبتدأ (اسم اشارة)+ الّا + الخبر(مفرد)

وقد وردت الجملة الاسمية في خطاب رد الكفار والمعاندين على الانبياء والرسل على هذه الصورة في اربعة موارد: منها قوله تعالى على لسان المشركين في ردهم على النبيﷺ ﴿مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى﴾ وقوله تعالى: ﴿مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ﴾ و قوله تعالى: ﴿مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى﴾ وقوله تعالى: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾، بعد ان ذكر القرآن الكريم على لسان انبيائه الآيات البيّنات والخوارق من العادات التي جاءت الى القوم الآية بعد الآية في مواقع مختلفة قال المعاندون عن كل اية ﴿مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى﴾، وايراد حكاية تكذيبهم الرسولﷺ مقيدة بالزمن الذي تتلى عليهم فيه آيات الله البينات تعجيب من وقاحتهم حيث كذّبوه في اجدر الاوقات بأن يصدقوه عندها لأنه وقت ظهور حجة صدقه لكل عاقل متبصر[١٠١]، وخطابهم هذا لعامتهم بعد استماع الآيات تنبيه لهم على الجد في التمسك بدين اباؤهم وتحريض لهم على النبي الاكرمﷺ، وقد جاء كلام الكفار والمعاندين مؤكداً بالنفي والاستثناء أي أنه بدلاً من ان يقولوا: انها آيات بينات نازلة من عند الله تعالى وقد اشاروا الى الآيات البينات بهذا دلالة على انهم لم يفهموا منها شيئاً[١٠٢].

الصورة الثانية: ما +المبتدأ (ضمير ونفصل للمخاطبين)+الا+ الخبر(مفرد)

وقد جاءت جملة واحدة في خطاب رد المعاندين على الانبياء والرسل وهي قوله تعالى: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾[١٠٣] وتعد هذه الجملة من باب قصر الموصوف على الصفة فقد قصر الكفار والمعاندون انبيائهم على انهم بشر مثلهم للحط من قيمتهم وتهوين امرهم وتوهينه ومبالغة منه في الوضع من رتبتهم العالية المتمثلة في النبوة وتكذيبهم في دعوى الرسالة [١٠٤]. وقولهم: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ انهم كانوا يرون ان البشر لا ينال النبوة والوحي، ويستدلون

على ذلك بأنفسهم حيث لا يجدون من انفسهم شيئاً من ذاك القبيل فيسرون الحكم الى نفوس الانبياء مستندين الى ان حكم الامثال واحد [١٠٥]. وقولهم: ﴿مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾، انما رفع (بشر) هنا ونُصبَ في قوله تعالى: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾[١٠٦]، لان (إلّا) تنقض النفي فلا يبقى لـ(ما) المشبهة بليس شبه، فلا يبقى لها عمل [١٠٧].

الصورة الثالثة: ما + المبتدأ (ضمير الغائبة المؤنثة)+ إلّا + الخبر (مفرد)

وجاءت هذه الصورة في قوله تعالى على لسان المنكرين للبعث والمعاد: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾[١٠٨].

فإن قول الكفار والمعاندين بيان لإحكام اضلالهم والختم على سمعهم وابصارهم وقلوبهم وجعل غشاوة على ابصارهم، وقولهم (ماهي) أي ما الحياة الا حيتنا الدنيا التي نحن فيها، ويجوز ان يكون الضمير للحال والحياة الدنيا من جملة الاحوال فيكون المستثنى من جنس المستثنى منه لاستثناء حال الحياة الدنيا من اعم الاحوال ولا حاجة الا تقدير حال مضافة بعد الاستثناء أي ما الحال إلا حال الحياة الدنيا[١٠٩]. وقد تقدم في مبحث التوكيد بالنفي والاستثناء بـ(إن) و(الّا) قول الكفار والمعاندين في سورة الانعام: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾[١١٠] وضمير (هي) ضمير القصة والشأن أي قصة الخوض في البعث تنحصر في ان لا حياة بعد الموت فهو حصر الامر بالحياة الدنيا، ويجوز ان يكون (هي) ضمير الحياة باعتبار دلالة الاستثناء على تقدير لفظ الحياة فيكون حصراً لجنس الحياة في الحياة الدنيا[١١١].

الصورة الرابعة: ما +المبتدأ (ضمير منفصل للمخاطب) +إلا +خبر مفرد

وقد وردت هذا الصورة في خطاب رد الكفار والمعاندين على النبي ﷺ بقولهم: ﴿مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾[١١٢] وان هذه الصيغة تكررت على لسان الكفار والمعاندين في قصة ثمود وردهم على صالح عليه السلام واتهامه بأنه من المسحرين، بَيدَ انه ادخل الواو بين الجملتين هنا للدلالة على ان كلا من التسحير والبشرية مناف للرسالة فكيف إذا اجتمعا؟ وارادوا بذلك المبالغة في التكذيب، ولم تدخل هناك حيث لم يقصد الا معنى واحد وهو كونه مسحراً ثم قرر بكونه بشرا مثلهم[١١٣]. فإن قلت: هل اختلف المعنى بإدخال الواو هاهنا وتركها في قصة

ثمود؟ قلت: إذا دخلت الواو فقد قُصد معنيان كلاهما منافٍ للرسالة عندهم وهما التسحير والبشرية، والجملة انما جاءت بهذه الصيغة لتقصر صفة البشرية عليه وهو من باب قصر الموصوف على الصفة[١١٤].

٣ـ القصر بـ (إنما)

وهي اداة حصر وهذا رأي الجمهور وخالفهم في افادتها الحصر جماعة وعلى رأسهم ابو حيان الاندلسي.

جاء في لسان العرب: (ومعنى (انما) اثبات لما يذكر بعدها، ونفي لما سواه كقوله: وانما يدافع عن احسابهم انا أو مثلي، والمعنى: ما يدافع عن احسابهم إلا انا أو من هو مثلي)[١١٥]. واستدل ابو علي الفارسي على انها للحصر بنحو قولهم: (إنما يفعل هذا انا) ولو لم تكن للنفي والاثبات لم يصح هذا لأنك تقول (افعل هذا) ولا تقول:(يفعل هذا انا)، و(انما) هاهنا بمنزلة النفي والا فكأنك قلت: ما يفعل هذا الا انا[١١٦]. إنّ اسلوب القصر بـ (النفي والاستثناء) كان لبدء فيه بنفي الحكم عن غير المقصور عليه ثم يؤتى بهذا المقصور عليه بعد الا ليحصر فيه الحكم ويقصر عليه ويفرد به فكان الاسلوب في القصر تفصيل يعقبه التخصيص والحصر[١١٧]، بخلاف القصر بـ (انما) اذ يكون البدء فيه بالإبهام والعموم يتلوه توضيح وتخصيص[١١٨]. وقد عقد الجرجاني فصلاً كاملاً بيّن فيه الفرق بين القصر بـ(النفي والاستثناء) والقصر بـ(انما) ورأى انه لا يصلح النفي والاستثناء في الكلام الذي صلحت فيه (انما)، وذكر ان (انما) تأتي لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته، اما الخبر بـ (النفي والاستثناء) يكون لأمر ينكره المخاطب ويشك فيه[١١٩]. أما الدكتور ابراهيم انيس فقد عقد فصلاً للتفريق بين القصر بـ(النفي والاستثناء) والقصر بـ(انما) استعرض فيه آراء الجرجاني اذ قال: (ان القصر لا يعدو ان يكون تأكيدا للكلام ومبالغة في توضيح الاحكام وتثبيتها في الاذهان، غير ان التوكيد مع (انما) توكيد الاثبات، ومع اداة النفي و (الا) تأكيد النفي وشتان بين التأكيدين)[١٢٠]. وإذا استقرأنا الجمل الاسمية المؤكدة بـ(إنما) الواردة في خطاب رد الكفار والمعاندين على الانبياء والرسل لا نعثر الا على ثلاث جمل فقط مقارنة بعدد الجمل الواردة في النفي والاستثناء فهذه الجمل التي وردت في خطاب رد الكفار والمعاندين جملة واحدة في سورة النحل على لسان المشركين في ردهم على الرسول الاكرم ﷺ

بقولهم: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ﴾ (١٢١)، وجملتين مكررتين بنفس الالفاظ في خطاب رد قوم صالح وقوم شعيب في سورة الشعراء في قوله تعالى على لسانهم: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ (١٢٢) وإذا تأملنا الجملتين نجد أنّ اداة القصر (انما) تصدرت كلتا الجملتين وجاء المقصور الذي هو الضمير المنفصل (انت)، والمقصور عليه وهو اسم الفاعل (مفتر) في الجملة الأولى وشبه الجملة (من المسحرين) في الجملة الثانية ويمكن صياغة هذا النمط من الجمل الاسمية المؤكدة وفق الصورتين التاليتين:

الصورة الأولى: انما + مبتدأ (ضمير منفصل) خبر مفرد(اسم فاعل)

وذلك في قوله تعالى على لسان المشركين في ردهم على النبي الاكرم ﷺ ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ﴾ ومعنى ذلك ان المشركين وجدوا مدخلاً للطعن فطعنوا وذلك لجهلهم وبعدهم عن العلم بالناسخ والمنسوخ، وكانوا يقولون: ان محمداً يسخر من اصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غداً فيأتيهم بما هو اهون؛ ولقد افتروا فقد كان ينسخ الاشق بالأهون والاهون بالأشق، واما قولهم: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ﴾ فإنهم يخاطبون النبي ﷺ ويتهمونه بأنه يفتري على الله الكذب وقد بالغوا في قولهم اذ لم يقولوا: افتريت في هذا التبديل والنسخ بل قالوا: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ﴾ فقصره في الافتراء، واتوا بالجملة الاسمية وسموه مفترياً، وقد بنوا ذلك على ان ما جاء به النبيﷺ من سنخ واحد وهو يسند الجميع الى ربه ويقول: (انما انا نذير) فإذا كان مفترياً في واحد كان مفترياً في الجميع (١٢٣).

الصورة الثانية: انما + المبتدأ (ضمير منفصل) + الخبر(شبه جملة)

ومنها قوله تعالى على لسان قوم صالح: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ (١٢٤) تشير الآية الشريفة الى خطاب رد الكفار والمعانين لنبي الله صالحعليه السلام بعد ان ذكر القرآن قصته بعد قصة هودعليه السلام فقد دعاهم الى اصلاح الحياة الانسانية وانه إذا صلحوا صلحت اعمالهم وإذا صلحت اعمالهم وافقت النظام العام وصلحت بها الارض فكان ردهم عليه باتهامهم اياه بأنه من المسحرين، أي ممن سحر مرة بعد مرة حتى غلب على عقله، وقيل: إن السحر اعلى

البطن والمسحر من له جوف فيكون كناية عن انك بشر مثلنا تأكل وتشرب فيكون قولهم (وما انت الا بشر مثلنا) تأكيداً له[١٢٥].

الخاتمة:

إنمازت بعض مواطن الخطاب بتباين خطاب عن آخر فقد ورد بعض الخطاب هادئاً ليناً، و ورد خطاب أشد لهجة بأسلوب التهديد بالرجم، أو التهديد بالإخراج من القرية، أو التهديد بالطرد، أو الاتهام بالجنون والسحر كخطاب المشركين في ردهم على رسول الله ﷺ، فقد وصلت حدة الخطاب إلى الأمر بالقتل أو الحرق، وللمفردة القرآنية داخل السياق أثر كبير في رفع حدة الايقاع شدةً وانخفاضاً وهذا الارتفاع أو الانخفاض على ارتباط وثيق بمقام الحال، فالمفردة القرآنية تكون دالة على التهكم، أو التهديد والوعيد، أو الاستهزاء، فهي تضفي على سياق الخطاب إيقاعاً حاداً يملأه الخوف والرعب في حين تكون بعض المفردات لينة وسلسلة، فللمفردة دور مميز في تحديد حال المخاطب، وقد استعمل الكفار والمعاندون أساليب التوكيد المتعددة في ردهم على الأنبياء والرسل لتقوية الكلام وتثبيته سواء بإعادة اللفظ نفسه، أم باستعمال كلمات خاصة لتثبيت المعنى ودفع الشبهة عنه، ولم يرد في خطاب رد الكفار والمعاندين على الأنبياء والرسل عليهم السلام التوكيد المعنوي بـ(نفس-عين- جمع- عامة). و في الختام هذا ما تمكنت ولله الحمد من الوقوف عند أهم الخطابات المؤكدة الواردة في خطاب رد الكفار والمعاندين على الأنبياء والرسل في القرآن الكريم...والله ولي التوفيق

Abstract

Discernment some citizen discourse contrast speech on another it was reported some discourse quiet Lena، and received a letter most tone style threat of stoning، or the threat of directing from the village، or the threat of expulsion، or accusation madness and magic discourse infidels in their response to the Messenger of Allah (Allah bless him and his family him)، has reached rhetoric to the command to kill or burn، and single Quranic within the context of a significant impact in raising the unit paced intensity and decline and the rise or fall closely associated with the vendor case، Vamufrdh Quranic be a function of sarcasm، threats and intimidation، or ridicule، they confer on the context of the speech rhythm sharply filled fear and terror while it will be some vocabulary soft and series، a distinctive role

in determining if the addressee، has been used by the infidels and Gladiators methods assertion multiple in their response to the prophets and apostles to strengthen speech and install either re- word the same، or the use of words especially to install meaning and pay suspicion about him، did not respond in a speech response infidels and Gladiators the prophets and apostles، peace be upon them moral assertion (b same - eye - collect - General). In conclusion، this is what thankfully was able to stand at the most important speeches contained in the confirmed Letter Re infidels and Gladiators the prophets and apostles in the Koran... and God is the source of strength

هوامش البحث

(١) الحج:٧٢.
(٢) ينظر: معاني النحو،٢٦١/١.
(٣) شرح المفصل:٥٩/٨.
(٤) ينظر: النحو الوفي،٥٧١/١.
(٥) ينظر: معاني النحو، ٢٦١/١.
(٦) الاعراف: ٨٢
(٧) ينظر: روح المعاني: ٢٥٠/٦
(٨) الكشاف: ٢٥٢/٢.
(٩) فصلت:١٤.
(١٠) الذاريات:٥٢-٥٣
(١١) الميزان في تفسير القرآن: ١٩٤/١٠.
(١٢) روح المعاني:١٧٦/١٨.
(١٣) المؤمنون:٣٥.
(١٤) ينظر: التحرير والتنوير، ١١٠/١٢.
(١٥) ينظر: الاتقان في علوم القرآن،٦٢٣/٢.
(١٦) ينظر: القرطبي،٧٥/١٦.
(١٧) البحر المحيط:٢٦٠/٨
(١٨) ينظر: الكشاف،٣٣٩/٤.
(١٩) الزخرف:٢٢.
(٢٠) ينظر: الميزان،٩٤/١٨.

(٢١) الكشاف: ٢٢٤/٦.
(٢٢) معاني القرآن: الزجاج،٤٠٨/٤.
(٢٣) تفسير القرطبي:٧٥/٦.
(٢٤) هود:٦٢.
(٢٥) هود:٦١.
(٢٦) التحرير والتنوير:١١٠/١٢.
(٢٧) ينظر روح المعاني:١٣٣/١١.
(٢٨) ينظر البحر المحيط: ٤٢١/٦.
(٢٩) ينظر: التحرير والتنوير،١٦٤/٦.
(٣٠) الاعراف:٦٠.
(٣١) الاعراف:٦٦
(٣٢) نفس الآية.
(٣٣) هود:٩١.
(٣٤) التحرير و التنوير:١٤٨/١٢.
(٣٥) نفسه: ١١٢/٢.
(٣٦) الكشاف:٣٤٠/٥.
(٣٧) الميزان في تفسير القرآن:١٥٩/٨.
(٣٨) البقرة:٤٦.
(٣٩) الاعراف:٦٥.
(٤٠) البقرة:١١٨.
(٤١) الذاريات:٥٣.
(٤٢) ينظر: روح المعاني:٣٤٤/٨.
(٤٣) نفسه:١٣٢/٢.
(٤٤) هود:٨٧.
(٤٥) نفس الآية.
(٤٦) ينظر: التحرير والتنوير،٩٧/١٢.
(٤٧) ينظر: الميزان في تفسير القرآن،٣٥٤/١.
(٤٨) ينظر: اساس البلاغة: ٥٠٩، ولسان العرب:١١٥/٥.
(٤٩) الرحمن:٧٢.
(٥٠) ينظر: مفتاح العلوم: السكاكي: تح د. عبد الحميد هنداوي:٤٠٠.

(٥١) عروس الافراح: تح د. عبد الحميد هنداوي:٣٩٣/١.
(٥٢) ينظر: الاستثناء في التراث النحوي والبلاغي: د. كاظم ابراهيم:٢١٣.
(٥٣) ينظر: الايضاح في علوم البلاغة: القزويني:٢٨/١.
(٥٤) في النحو العربي قواعد وتطبيقات، د. مهدي المخزومي،٢١٠.
(٥٥) ينظر: التعريفات: الشريف الجرجاني:٩٩.
(٥٦) ينظر جواهر البلاغة: احمد الهاشمي، ١٨٦.
(٥٧) ينظر: مفتاح العلوم:٤٠٠
(٥٨) المفصل:٢٠٠/٢.
(٥٩) ينظر: الاتقان في علوم القرآن: ١٥٥/١.
(٦٠) مفردات الراغب:٢٧.
(٦١) فاطر:٤١
(٦٢) ينظر: مفتاح العلوم:٤٠٥.
(٦٣) المؤمنون:٢٥
(٦٤) المؤمنون:٣٨.
(٦٥) المؤمنون:٣٧.
(٦٦) الانعام:٢٩.
(٦٧) الشعراء:١٣٧
(٦٨) ص:٧
(٦٩) المؤمنون:٨٣
(٧٠) سبأ:٤٣.
(٧١) ابراهيم:١٠.
(٧٢) يس:١٥.
(٧٣) ينظر: التحرير والتنوير:٣٥٢/٩.
(٧٤) الكشاف: ٤٣٤/٤.
(٧٥) المؤمنون: ٣٧، الانعام:٢٩.
(٧٦) الكشاف: ٣٢٩/٤.
(٧٧) ينظر: روح المعاني:٢١١/١٣.
(٧٨) ينظر: التحرير والتنوير:٢٨٨/٥.
(٧٩) الشعراء:١٣٧
(٨٠) ص:٧

(٨١) المؤمنون:٨٣

(٨٢) سبأ:٤٣.

(٨٣) ينظر: روح المعاني: ٢٠٧/١٤

(٨٤) ينظر: الكشاف:٢٩٠/٦

(٨٥) ابراهيم:١٠

(٨٦) نفس الآية.

(٨٧) ينظر: التحرير والتنوير:٤١١/٧.

(٨٨) يس:١٥

(٨٩) يس:١٤

(٩٠) ينظر: روح المعاني:٤٤٠/١٦.

(٩١) يس: ١٥.

(٩٢) دلائل الاعجاز: ٢٥٦، وينظر: تلخيص المفتاح:٤٩.

(٩٣) القصص:٣٦.

(٩٤) سبأ ٤٣.

(٩٥) نفس الآية.

(٩٦) المؤمنون:٣٣.

(٩٧) الجاثية:٢٤

(٩٨) يس:١٥،ابراهيم:١٠

(٩٩) الشعراء:١٨٦،١٥٤

(١٠٠) ينظر: مفتاح العلوم:٥٠٨.

(١٠١) ينظر: التحرير والتنوير:٤١٦/١١.

(١٠٢) ينظر الميزان:٣٩٢/١٦.

(١٠٣) يس:١٥

(١٠٤) ينظر: الكشاف:٤٢٣/٥.

(١٠٥) الميزان في تفسير القرآن:٧٣/١٧.

(١٠٦) يوسف:٣١

(١٠٧) الكشاف:٤٢٤/٥.

(١٠٨) الجاثية:٢٤.

(١٠٩) ينظر: روح المعاني:٢٤/١٩.

(١١٠) الانعام:٢٩.

(١١١) التحرير والتنوير:٣٢٧/١٣.
(١١٢) الشعراء:١٥٤.
(١١٣) ينظر: روح المعاني:١٤ /٣٣٩.
(١١٤) ينظر: الميزان:٣٩٠/١٦.
(١١٥) لسان العرب:١٧٣/١٦.
(١١٦) معاني النحو: ٣٠٠/١.
(١١٧) ينظر: نحو المعاني: د. احمد الجوراني. ص:١٣٥
(١١٨) ينظر: نفسه.
(١١٩) دلائل الاعجاز:٢٢١.
(١٢٠) ينظر: من اسرا ر اللغة "١٩٠.
(١٢١) النحل:١٠١.
(١٢٢) الشعراء:١٨٥،١٥٣
(١٢٣) الميزان في تفسير القرآن:٣٤٥/١٢.
(١٢٤) الشعراء: ١٨٥،١٥٣
(١٢٥) الميزان: ٣٠٧/١٥.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- اساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، دار الفكر، ١٩٧٩.
- الاتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن ابي بكر جلال الدين السويطي، تحقيق: سعيد المندوب، دار الفكر، لبنان، ١٩٩٦م.
- الايضاح في علوم البلاغة: جلال الدين ابو عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني، تحقيق: الشيخ بهيج غزاوي، ط٤، دار احياء العلوم، بيروت، ١٩٩٨م.
- البحر المحيط: تفسير محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي،ط٢،دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م.
- التعريفات: علي بن محمد الشريف الجرجاني، تحقيق: ابراهيم الانباري، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م.

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

- الميزان في تفسير القرآن: العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٩٩٧.

- النحو الوافي: عباس حسن، ط٣،دار المعارف، القاهرة، د.ت

- التفسير الكبير: فخر الدين محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: السيد احمد الهاشمي،ط١٢، ١٩٦٠م.

- دلائل الاعجاز في علم المعاني: الامام عبد القاهر الجرجاني، صححه محمد عبده وعلق عليه محمد رشيد رضا، ط١، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٩٤م.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: العلامة ابو الفضل شهاب الدين الآلوسي (ت١٢٧٠هـ)،دار احياء التراث، بيروت - لبنان.

- شرح المفصل: موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش، عالم الكتب بيروت.

- عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح: للشيخ بهاء الدين ابي حامد احمد ابن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: د. خليل ابراهيم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

- في النحو العربي قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث، د. مهدي المخزومي، ط٣، ١٩٨٥.

- لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر للطباعة والنشر، ودار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٥٥م.

- معاني القران واعرابه: أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبدة شلبي، ط٢، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٧م.

- معاني النحو: فاضل صالح السامرائي، ط١، دار السلاطين للطباعة والنشر والتوزيع، الاردن ٢٠١٠م.

- مفتاح العلوم: أبو يعقوب يوسف بن محمد علي السكاكي، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م.

- مفردات الفاظ القرآن: العلامة الراغب الاصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط٤، ١٤٢٥هـ.